

المشرق الرقمية



مجلة إلكترونية تصدر مرتين في السنة عن دار المشرق
العدد الثالث، كانون الأول ٢٠١٣

لغتي هويتي...

اللغة العربية وتأثيرها في اللغات الأخرى

كلير بو ناصيف

إذا كان التفكير لغةً صامتة، فإنّ اللغة فكرٌ ناطق. ولربّما هي الرابط الأهمّ على الإطلاق بين أبناء المجتمع، إذ تساهم في نقل المفاهيم بين أمةٍ واحدة، وتثبيت الانسجام والتفاهم بين طبقات الشعب الواحد، أغنيّة كانت أم فقيرة.

أنا شابّة لبنانيّة، لغتي الأمّ هي اللغة العربيّة، وأنا أعيش في لبنان، في قلب الوطن العربيّ. أه حقاً؟! أحياناً يغيب عن بالي أنّني ابنة هذا الواقع لأنني، في مرتع اللغة العربيّة، لا يتناهى إلى مسمعي إلّا كلمات أجنبيّة غريبة تحاول أن تقلّد نبرة ناطقيها الأصليين. "بونجور"، "سا فا؟"، "واي نات؟"، "ميرسي"، "أنبواي"، "هاي"، "بليز"، "باي"... كلمات كثيرة تغزو لغتنا العربيّة، كلمات بات الطفل العربيّ يجهل مقابلها في لغته الأمّ، بل أسوأ من ذلك، يعتقد أنّها عربيّة ويسأل والده: "بابا؟ كيف نقول (ميرسي) باللّغة الفرنسيّة؟".

الأمّة التي لا تحافظ على لغتها هي أمّة بدون كيان. ونحن أمّة نميل أكثر فأكثر إلى الابتعاد عن لغتنا. فكيف بالحريّ لو كانت لغتنا هي اللّغة العربيّة؟ نعم!

اللغة العربية التي يحقّرها عددٌ من الناطقين بها إذ يرتقون باللغات الأجنبية على حسابها. اللغة العربية التي تضمّ مجموعةً من الأصوات الخاصّة المختلفة عن سواها مثل: "ء، غ، ح، خ، ض، ظ"، بحيث تتوزّع مخارج حروفها بين الشفئتين وأقصى الحلق، والتي تميّز باشتقاقاتها، وضماؤها المتّصلة والمنفصلة، وصيغة المثنّى، وطريقة التشكيل... اللغة العربية التي امتدّت تأثيرها إلى عدد لا يستهان به من اللغات الأخرى ولا سيّما الإسبانية التي أدرجت فيها زهاء خمسة آلاف كلمة من لغتنا. وهنا يبرز واضحاً عمق التأثير العربي والإسلامي الذي يبقى شاهداً على حضارةٍ عربيةٍ قديمة فيها من العظمة والرهبة ما يكفي لينصبّها ملكةً أقلّه على أمّتنا العربية.

تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية تحديداً

غزا العرب إسبانيا العام ٩٢هـ/٧١١م واستمرّوا في حكمها حتّى العام ٨٩٩هـ/١٤٩٢م عند وصول الملوك الكاثوليك وسقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس. وعندما دخلوا إسبانيا، أدخلوا معهم علومهم، وعاداتهم، ودينهم الإسلامي، وفنونهم ولا سيّما العمرانية منها، وحاولوا الحدّ من الجهل، ورجبوا في إحلال السلام.

وبالتالي، غزت آلاف الكلمات العربية اللغة الإسبانية، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها. كذلك، يعتبر الألسنيون أنّ معظم الكلمات الإسبانية التي تبدأ بحرفي "أل" هي كلمات من أصل عربيّ، أُدخِل عليها "أل" التعريف، مثلاً: "Alcázar"، وتعني القصر. ومن هذه المصطلحات ما أُطلق على أطعمة وأغذية، ومدن وقرى، ومهن وحرف. في ما يلي جدول بأهمّ الكلمات المستخدمة بأصلها العربي وترجمتها.

الكلمة العربية الأصل	اللفظ الإسباني	الكلمة الإسبانية
أطعمة وأغذية		
أرز	أرّوث	Arroz
زيتون	أثيتونا	Aceituna
زهر الليمون	أثاهار	Azahar
زيت	أثايتي	Aceite
باذنجان	بيرينخينا	Berenjena
البرقوق (مشمش)	ألباريكوكه	Albaricoque
الخرشوف (أرضي شوكة)	ألكاتشوفافا	Alcachofa
اللوبياء	ألوبيا	Alubia
زعفران	أثافران	Azafrán
سكر	أثوكار	Azúcar
شراب	خارابي	Jarabe
مدن وقرى وأماكن		
مدينة	ميدينة	Medina
المخزن	ألماثين	Almacén
القصر	ألكاتار	Alcázar
الضيعة	ألديا	Aldea
جبل طارق	خيبر التار	Gibraltar
وادي الحجارة	غوادالاجارا	Guadalajara
الوادي الكبير	وادالكبيير	Guadalquivir
(قصر) الحمراء	ألامرا	Alhambra
بلد الوليد	فايادوليد	Valladolid

مهن وكلمات أخرى		
البنايل	البانييل	Albañil
فلان	فولانو	Fulano
حتّى	آستا	Hasta
جرّة	خارًا	Jarra
إن شاء الله	أوخالا	Ojala
قرمزيّ	كارميسي	Carmesí
المخدة	ألموادا	Almohada
القطن	ألغودون	Algodón

أنا وإسبانيا: حكاية شغفٍ... بلغتي العربيّة

منذ صغري وأنا مولعة باللّغة الإسبانيّة وتراثها. لطالما جذبتني رقصتهم التقليديّة "الفلامنكو"، وحسدت راقصاتها الشديديات اللّيونة، وفساتينهنّ التي تنساب ضيّقةً على أجسامهنّ قبل أن تتفتّح وروداً عند الخصر تتناغم طبقاتها السود والحمر مع صوت الموسيقى. لطالما رغبت في متابعة "كورّيدا" (Corrida de toros) يصارع فيها الثور "الماتادور" القويّ الممشوق ذلك الذي يرتدي بزّة خاصّةً ويحمل قطعة قماش أحمر تشدّ الثور، ويستمع إلى هتافات جمهورٍ شديد الحماسة. لطالما أغوتني الآثار في إسبانيا، ولا سيّما تلك التي خلفها عرب الأندلس في مناطق عديدة، أذكر منها إشبيليا وغرناطة الأندلسيّتين الرائعتين.

وبالفعل، كنت محظوظةً جدًّا كوني ذهبت إلى إسبانيا مرّتين، وتمكّنت من التعرّف على الحضارة الممزوجة هذه بعناصر عديدة من حضارتنا العربيّة. في العام ٢٠٠٧، ومن طريق مدرسة الترجمة في جامعة القديس يوسف-بيروت حيث درست، شاركت في ورشة عمل نظّمها مدرسة الترجمة في طليطلة-إسبانيا على مدى أسبوعين، تقوم على حركة الترجمة بين اللّغتين الإسبانيّة

والعربيّة. وكم كان حظّي كبيراً عندما حصلت على فرصة أخرى للاندماج بالشعب الإسبانيّ العام ٢٠١٢ ومتابعة دروس في اللّغة، والتاريخ، والجغرافيا، والألسنيّة، والقواعد. وهذه المرّة، كانت تجربتي في غاية الروعة لأنني استفدت على المستويات كافّة. فقد بقيت أسبوعين في منزل إحدى السيّدات الإسبانيّات التي عاملتني معاملةً رائعة، واختبرت الحياة الحقيقيّة في بلادٍ أعشقها، وتذوّقت طيبة السكّان الذين يشبهون إلى حدّ كبير الشعوب المطلّة على البحر المتوسّط.

وأنا، كلّما تعمّقت أكثر في اللّغة الإسبانيّة، أفيّت نفسي أعشق لغتي العربيّة. كلّما غصت على تاريخ إسبانيا، شعرتُ بعظمة لغتي. عسى أن نعتزّ بلغتنا الأمّ، ونشعر بجمالها، فهي، بعكس ما يزعم بعض الأشخاص، لغة رومنسيّة، شأنها شأن اللّغة الفرنسيّة الرنّانة؛ وهل من كلام أجمل من: "حبيبي"، "أحبك"؟ عسى أن يفهم الشعب العربيّ عموماً، واللّبنايّ على وجه الخصوص، أنّ لغتنا العربيّة غنيّة بمفرداتها، ومعانيها، وألفاظها، وكلماتها.. فلننهض بها ولا نهملها، ولنعلّمها أولادنا وبنينا بها أوطاننا!